

مُعاشرة الأخيار



«مما يجمّل ويحسن خلق الإنسان صحة الأخيار، فالإنسان مولع بالتقليد فكما يقلد الإنسان من حوله في أزيائهم يقلدهم في أعمالهم ويتخلق بأخلاقهم، قال حكيم: "نبئني عمّن تصاحب أنبئك من أنت".

إنّ مصاحبة الأخيار تغرس في النفس الأخلاق الكريمة وتدفعها إلى معالي الأمور، أما مصاحبة الأشرار فإنّها تقود إلى الاستهانة بالأخلاق، وتجريء على اقتراف الآثام، وتباعد بين الإنسان وبين القيام بالأعمال العظيمة.

فالقرين الصالح يعتبر بحقّ من أفضل نعم هذه الحياة فهو الملاذ في الملمات، وهو المرشد الأمين لطريق الحقّ والنجاح، فكثير من النابغين العظماء والمتفوقين في هذه الحياة يعزون سبب نجاحهم إلى أنّهم وفّقوا في اختيار قرين صالح ساروا على إرشاده واقتبسوا من نصحه.

والقرآن الكريم دعا إلى اختيار الأصحاب الصالحين. قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف/ 28).

أمرنا سبحانه رسوله وكلّ مؤمن في هذه الآية بمصاحبة الأخيار الذين ساروا على الهدى ليقفدي بهم ويقتبس من فضائلهم، ولا يزهد في صحبتهم فيتطلع إلى من عداهم لأجل الحصول على مظاهر الحياة الكاذبة، ثمّ نهى المؤمن عن مصاحبة الأشرار الغافلين عن ذكرنا الذين اتبعوا أهواءهم وجاوزوا حدود الحقّ في أعمالهم.

وقال تعالى أيضاً في هذا المعنى: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنَّا ذِكْرِنَا وَلَمَّ يُرْدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (النجم/ 29).

وبيننا في آية أخرى أنّه ليس من شأن المؤمن أن يتودد إلى من يغضب ربه بالمعاصي ولو كان

أقرب الناس إليه:

(لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْفِكُونَ بِاللَّهِ وَإِيَّائِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (المجادلة / 22).

وَصَوَّرَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ وَالْجَلِيسَ السَّيِّئَ خَيْرَ تَصْوِيرٍ فِي قَوْلِهِ: "مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ (مَنْفَخِ الْجِدَادِ الَّذِي يَشْمَلُ النَّارَ وَيَنْفِثُ الدِّخَانَ) فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ (يُعْطِيكَ) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثَوْبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً".

هذه هي تعاليم الإسلام في اختيار القرين الصالح ليقودنا دائماً نحو الخير ويجنبنا مواطن الضلال. ►